حطِّين

نظمها يوم عزم أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك على زيارة فلسطين، وأخذ الأدباء يعدون العدة؛ لإقامة مهرجان له، ولكن الزيارة لم تتم، وقد رمى إبراهيم من وراء هذه القصيدة إلى إثارة أمير الشعراء؛ لينظم شعرًا في فلسطين، وفي قضيتها.

أهلًا بربِّ المهرجان أهلًا بنابغةِ البيانِ
مَلِكِ القلوبِ المستقلِّ بعرشها، والصوْلجانِ
ومُتوَّجٍ حالتْ أشعْـ ـعَةُ تاجه دون العِيان
أهلًا «بشوقي» شاعرِ الْـ ـفُصحى ومعجزةِ البيان
يا فرقدَ الشعراءِ كم من فرقدٍ لعُلاكَ رانْ
عَلَما الخلودِ مُنشَّرا نِ، على سريركَ يَخْفُقان
جبريلُ ينفخُ في فُؤا دِكَ ما يفيضُ على اللسان
وأمدَّ بالنّفحات رُو حَكَ، حين طوَّف بالجِنان
فإذا بأبكار الجنا نِ لديكَ أبكارُ المعاني
يا باكيَ الفيحاءِ حِيـ ـنَ أبَتْ تقيمُ على الهوان
أيامَ كانت وردةً بدم البواسلِ كالدِّهان
أرسلتَ عن (بردى) سَلا مَكَ في لظى الحرب العَوان
وذرفتَ «دمعًا لا يُكفْـ ـكَفُ» هيّجتْه الغُوطتان
البيتُ ممّا قُلتَهُ فيه تَخايَلُ جنّتان
أبدًا رثاؤكَ فيهما عينانِ دمعًا تجريان

هــذا وإنَّ جَــنــاهــمــا لَلصَّعبُ فاعجبْ وَهْو دان

* * *

عَرِّجْ على حِطِّينَ واخْــ ـشَعْ يُشْجِ قلبَكَ ما شجاني
وانظرْ هنالِكَ هل ترى آثارَ (يوسفَ) في المكان
أيقظْ (صلاحَ الدينِ) رَبَّ التاجِ والسيفِ اليماني
ومُثيرَها شعواءَ أَيْــ ـيُوبيّةَ الخيلِ الهِجان
بالعادياتِ لديه ضَبْــ ـحًا والأسنّةُ في اللَّبان
ترمي بمارجِها وما غيرُ العجاجةِ من دخان
في كلِّ خطَّارٍ على الْــ أخطارِ صبَّارِ الجَنان
حلقاتُ أدْرِعِهم قُيو دُ الموتِ في دَرَك الطعان
وسيوفُهم ماءُ الحَمِيــ ـمِ، على مَضاربِهنَّ آنِ
والخيلُ طَوْعُ كُماتِها في النّقعِ مُرخاةُ العِنانِ
لا تنثني أو تُحرزَ الْــ ـقَصَباتِ في يوم الرّهان
حطّينُ يومُكِ ليس يُنْــ ـكِرُ شاهِديه الخافقان
تتطايرُ الأرواحُ فِيــ ـهِ، من السِّنان إلى السِّنان
وترى السّهامَ مُقوَّما تٍ، فوق أجسامٍ حَوان
فإذا أديمُ الأرضِ أَحْــ ـمَرُ، من دم الإفرنج قان
يُسقَوْن من كأس الرَّدى وملـيكُهم ظمآنُ عان
حتى انجلى رَهْجُ الوغى والنَّصرُ مرموقُ العَنان
ومشى صلاحُ الدينِ تَحْــ ـتَ لوائِه في مهرجان
وعلا الأذانُ ورَجَّعتْ تكبيرَهُ شُرَفُ الأذان

* * *

أمُقوِّضَ الدَّولاتِ مَنْ لي من صُروفِكَ بالأمان؟
دُكَّتْ صُروحٌ ما بنى أمثالَها في المجد بان
جلَّ المصابُ «أبا عَلِيٍّ» فابْكِ هاتيكَ المغاني
ذهبَ الذين عهدتَهم لا يصبرون على الهوان

في مصرَ يطمعُ أشْعبٌ وهنا تنادى أشْعبانِ
وهنا التخاذلُ في الشَّدا بِئد، والتشاؤمُ والتواني
والنفسُ يقتُلُ عزمَها طولُ التعلُّلِ بالأماني

* * *

خُذها إليكَ وأنتَ عَنْـ ـها يا أميرَ الشعرِ غان
حسناءَ فيها للصِّبا نَزَقٌ على خَفَر الحِسان
نفحاتُها من «كَرْمةٍ» تُعزى إلى الحَسَن بن هاني
هيهات تبلغُ شأوكَ الشعراءُ يومًا أو تُداني

نشرت في تشرين الأول ١٩٢٨